

البلاغة وتحليل الخطاب الشعري بين التأصيل والتجديد

Rhetoric and the analysis of poetic discourse between foundation and renewal

أ.د. مرزوق محمد أمين

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس (الجزائر)

amine_merzoug@yahoo.fr

كروم ياسمين

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس (الجزائر)

yassminekerroum7@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/23

تاريخ الاستلام: 2025/05/05

ملخص:

لقد غيرت جهود النقاد المغاربة فن القراءة من اتجاهها السياقي التاريخي إلى النسقي مقارنة بالمقولات اللسانية الحديثة، فتميز الدرس النقدي المغربي بتعامله مع التراث البلاغي في شموليته، ونحو محاولة ضبط مصطلحات الفكر النقدي عامة، والعربي تحديدا سجلت عدة اجتهادات حديثة حول عدة مواضيع نقدية لعل قضية البلاغة أبرزها ولنا في محاولة "محمد العمري".

الكلمات المفتاحية: النقد البلاغي المغربي؛ الخطاب النقدي المعاصر؛ البلاغة الجديدة - الأصالة - الحداثة.

Abstract:

The efforts of Maghrebian critics have transformed the art of reading from its historical-contextual orientation to a structural one, in comparison with modern linguistic categories. Maghrebian critical studies are distinguished by their comprehensive engagement with the rhetorical heritage. In an attempt to regulate the terminology of critical thought in general and Arab criticism in particular- several recent scholarly contributions have emerged, with rhetoric being one of the most prominent issues. Among these efforts is the notable work of Mohammed Al-Omari.

Keywords: Maghrebian Rhetorical Criticism; Contemporary Critical Discourse; The New Rhetoric; Authenticity; Modernity.

1. مقدمة:

ما البلاغة الجديدة؟، هذا هو السؤال المحوري الذي يسعى هذا البحث إلى الإجابة عنه بعد وقت طويل من البحث في جوانب وقضايا مختلفة منه قضايا كان بعضها معروفاً على الإجمال (الصور البلاغية الشعرية)، هذا من جهة، ومن جهة ثانية نحن نعلم أن لبلاغة الغربية الحديثة قامت على إعادة قراءة التراث القديم قراءة فاحصة في أصوله اليونانية واللاتينية، المشكل يكمن في أنهم انتبهوا إلى غنى التراث القديم فقاموا بإعادة قراءته وتقويمه وبنوا عليه نظريات من خلال حديثة ما قدموه لنا من تصورات جديدة وأدوات بحث فعالة، مازالت العلاقة بين البلاغة والحجاج ملتبسة والحدود متحركة تثير الاختلاف بين الباحثين.

إن استعراضنا لتاريخ البلاغة الغربية "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" مازلنا نصادف الحاجة إلى إعادة بسط القول في بعض جوانب الموضوع وفتح المجال لوجهات النظر الأخرى التي كنا نكتفي إلى تدخلها. ولهذا يأتي هذا الاهتمام محكوماً بوعي حاد بمسئولية الحاجة إلى ثقافة التواصل والإقناع، فتجديد الصلة بالإقناع "ينطوي على إعادة للممارسة الحوارية وقيم الاختلاف والتفاعل، والتي قد تكون بديلاً على الإنهيارات والكوارث وأشكال العنف المميز للمشاهد العالمي الراهن"¹ وغير قليل من الباحثين المعاصرين يعتبر بأن لا خيار لخروج العالم من مأزقه إلا الإقناع ب: "عقلانية تداولية" مركّزة الحوار وقيم التوسط والتبادل، فما دمنا نتواصل ونتباحث أو نتبادل، وتتفاعل، ثمة إمكانيات لأن نغير ونتغير.

يبحث حازم القرطاجني عن معرفة الشعر والخطابة أو الأدب والخطاب التداولي، وعن التقاطع بين هذين النمطين الخطابين الإنسانيين والحضاريين، على الرغم من وعيه بالفوارق بينهما فقد وجد أن الشعر والخطابة (أو التخيل والإقناع) يتداخلان في الهدف ويتوخيان إحداث التأثير في النفوس على الفعل أو الاعتقاد أو التخلي عنهما.

وعلى هذا النحو يبدو أن التخيل الشعري ليس نقيضاً للإقناع الخطابي. إنهما يقومان بالوظيفة نفسها. تتوحد وظيفة الشعر ووظيفة الخطابة عند "حازم" على الرغم من وعيه بخصوصية الخطابين القائم أحدهما على هيمنة التخيل وتبعية الإقناع والآخر على هيئة الإقناع وتبعية التخيل، حيث يبدو أن التراث النقدي العربي لم يكن يتصور الشعر خارج دائرة الخطابة: ينزلون الشاعر منزلة التي: "إنهم كانوا ينزلون منزلة النبي فيناقدون الحكمة ويصدقون بكهنته" لما قاله ابن سينا.

يستند محمد العمري في وصله بين الحجاج والتخيل إلى تراث البلاغة العربية وخاصة التصور الذي يسطه (حازم) في كلامه المذكور وكتابه يرى العمري أن الفصل بين هذين المكونين البلاغيين لا يستند إلى التاريخ الذي يشهد بداخلهما وهو التصور الذي تبناه كل من "كيسيدي فاركا وهينرش بليت" فالأول يرى أن تاريخ الأدب أو التخيل ينبغي أن تنظر إليه باعتباره تاريخ الإخفاء للحادق إلى حد ما للبلاغة.

وليس تاريخ الإنسلاخ المدرج عنها، ويرى الآخرون فضل البلاغة على الأدب والنظرية الأدبية يناقض التقليد الغربي الضارب في القدم، الذي يجعل الشعرية والبلاغة والأدب والفصاحة تمثل وحدة لا غبار عليها. يرفض هذان الباحثان الفصل بين الشعرية والخطابية ويدعوان بالنظر إلى الأعمال الأدبية باعتبارها تجسد تداخل هذين المكونين المتناقضين والذي صدر عنه أقطاب الجمالية الرومانسية لطرد الخطابة عن الشعر.

2. إعادة الاعتبار للبعد الحجاجي :

ارتبطت عودة البلاغة في زماننا المعاصر بإحياء بعدها الحجاجي ، فقد كان لهذا البعد حضور مهم في بدايتها مع الإغريق ، وخاصة مع كتاب أرسطو طاليس في الخطابة لكنه يتراجع مع التطور التاريخي ليفسح المجال للصورة والأسلوب سيستمر مع الشكلايات والشعريات، وبعض التيارات البلاغية الحديثة التي تريد أن تكون أدبية بدون أية علاقة بالإقناع، وتختزل البلاغة في أوجه الأسلوب ومحسناته ومعرفة طرائق اللغة الخاصة بالأدب، والتي تراكمت منذ عبد الله بن المعتز حتى تجنيس البديع للسجلмасي احتفاء خاصا ببلاغة المحسنات دول بلاغة الخطابة التي حدد الجاحظ أهم دعائمها.

بدأت البلاغة تعرف طريقها إلى العودة، ويوضع "جان جاك روبريو" أنه بعد الآداب الجميلة والنزعة الوضعية والشكلاية الروسية واللسانيات البنيوية، أدرك الغربيون في النهاية أن ظواهر مهمة من مثل: السجال السياسي والخطاب الإعلامي والخطاب الإشهاري تتعلق بطرائق معروفة ومكتسبة من طرف الخطباء والبلغاء منذ قرون.

ويذهب العديد من الدراسيين والباحثين إلى أن المؤلف الذي أصدره شاين بيلمان تولوسي أولبريخت_تيتيكا تحت عنوان: Traite de l'argumentation nouvelle rhétorique أوأخر الخمسينات من القرن الماضي، قد كان أكبر مؤشر دال على عودة البلاغة من جديد، وعدم حصر البلاغة في الأسلوب والشعري؛ فإن العناية بالبعد الحجاجي لا تعني إبعاد أو اقضاء للبعد الشعري.

3. التوجه نحو مفهوم تسقي للبلاغة:

لا يصح القول بالفصل القاطع بين بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب، لأن هذا التمييز يُفرغ البلاغة من جوهرها المتكامل، إذ إن كلا البعدين—الإقناعي والجمالي—يشكلان معًا وحدة عضوية لا يمكن تجزئتها. فالحجاج يحتاج إلى أسلوب فعال ينقله ويُقنع به، كما أن الأسلوب لا يكتسب قيمته البلاغية الكاملة ما لم يُسهم في بناء الحجة وتوجيه الخطاب نحو غايته التأثيرية. وعليه، فإن البلاغة الحقيقية لا تقوم على أحد العنصرين بمعزل عن الآخر، بل تنبثق من تفاعلها وتكاملهما، الأمر الذي يُحتم رفض الاختيار الإقصائي بينهما لصالح رؤية شمولية تُدرك أن البلاغة تتأسس على تلازم الوظيفة الإقناعية مع الصياغة الأسلوبية.

ويتحدث جورج موليني عن "تداولية أدبية" تعتبر النص مكانا يقع فيه شيء ما، ويتم فيه توجيه مجموع العمليات اللغوية في علاقة بغائية ما ، فالأدب في نظره إنجازي لا تمثيلي ، وما ينبغي للأسلوب التداولي أن يدرسه هو المواد اللغوية في حمولتها باعتبارها ممارسة سيميائية في علاقة بجمهورها.

وما ينبغي له أن يهتم به هو هذا الإنشغال الشعري بالدال الصوتي الشفوي أو الكتابي واعتبار المفهوم الإيحائي للدال هو الذي يمكن أن يساعده على فهم طبيعة الدال الشعري ووظيفة فالأدبية تضع أهمية قصوى للقيم الإيحائية اللفظ أو لسلسلة من الألفاظ.

وقد سجل بول دي مان في مقالته (السيمولوجيا والبلاغة): بعد أن تم إيجاد الحلول للمشاكل المتعلقة بالشكل الأدبي والنظام الداخلي للخطاب الأدبي، حين تقوم تقنيات التحليل البنيوي صار مهما أن تتجاوز الشكلائية التي تم الشؤون الخارجية للخطاب الأدبي. وفي كتاب جديد تحت عنوان "البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول".

يهتم محمد العمري بالمفهوم النسقي الذي يسعى لجعل البلاغة علما أعلى يشمل التخييل والحجاج معا ، أي يستوعب المفهومين الأولين، ونفترض أن في تراثنا البلاغي غير قليل من الأعمال البلاغية التي كانت مشغلة بهذه المنطقة البنية المعقدة التي يتقاطع فيها التداولي والشعري وفيه غير قليل من المحاولات لبناء مفهوم تسقي البلاغة.

بدأ الباحثون اللغويون في مجال التداول الحجاجي (منطق الحجاج) يكتشفون أن تناولهم لشتى أنواع الخطاب موجودة في علم عتيق ألا وهو البلاغة، وهذا ما جاء على لسان (شامبير لمان) فيصرح في كتابه (مصنف في الحجاج): بأنه فوجئ وهو يسعى الى وضع منطق للقيم يوازي المنطق الصوري الرمزي بأن ما كان يبحث عنه موجود في علم قديم اسمه البلاغة²، ولذلك عكف عن دراسة بلاغة أرسطو وأعاد صياغتها بما يخدم نظريته في منطق الحجاج، والبلاغة تحدد على أنها عمل المتكلم على إيصال الشفرة الى السامع بواسطة رسالة في مقام معين، وما يؤكد هذا المفهوم ما قاله أبو الهلال العسكري: "لا البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن"³.

فمن غايات البلاغة إيصال التصور كما هو في ذهن المتكلم إلى المتلقي لإحراز المنفعة المقصودة، وهو ما تتناوله التداولية ضمن ما اصطلح عليه بالفعل الكلامي، وهذا ما أشار إليه محمد العمري واصفا البلاغة أنها عنوانا للعلاقة بن الخطيب والمستمع فالبلاغيون العرب (...) حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه أو يراعيه من أحوال المستمعين.

تقوم البلاغة الجديدة حسب جماعة "مو" البلجيكية على اتجاهين أساسيين، الأول اتجاه وظيفي للغة، والآخر جمالي يركز على الوظيفة الشعرية: وهذا يختلف كلياً على التصور التقليدي للبلاغة الذي يحصر مهمتها في تزيين الكلام وتحسنه أصبحت البلاغة الجديدة في وقتها الحالي مدخلا أساسيا إلى جميع المجالات العلمية والمعرفية والثقافية والأدبية والفنية بعد أن تعددت المعارف الإنسانية، وكثرت التخصصات العلمية، لكن جميعها ينطلق من منبع واحد هو البلاغة.

وقد تكور تحليل الخطاب في أوروبا وأمريكا، معتمدا مفاهيم بلاغية فلسفية وتاريخية، فقد حظيت هذه الأخيرة - البلاغة- مكانة كبرى من بين المعارف والتخصصات، فاتخذت اتجاهات مختلفة ومتنوعة، فيمكن

الحديث عن بلاغة انسانية كان همها الوحيد هو دراسة الصور البلاغية وتصنيف الخطابات الخطابية الأدبية وفق مقولات بنوية ولسانية وبلاغة اسلوبية كان مركزها هو دراسة الاسلوب في مختلف تجلياته الفنية والجمالية، وبلاغة حجاجية استهدفت دراسة الخطابات السياسية والقضائية، واخرى سيميائية استخدمت اليات البلاغة في التعامل مع مجموعة من الانساق السيميائية البصرية والمرئية، وبلاغة تداولية كان هدفها دراسة مبحث للإنشاء والخبر وفق رؤية لغوية قائمة على نظرية افعال الكلام.

4. البلاغة الجديدة من منظور الثقافة العربية:

عرفت البلاغة مرحلتين اساسيتين: مرحله البلاغة الكلاسيكية ذات طابع معياري تعليمي، ومرحلة البلاغة الجديدة التي اتخذت طابعا وصفيا، ومن ثم يمكن الحديث عن انواع عدة من البلاغات: بلاغ لسانية، كان همها الوحيد هو دراسة الصورة البلاغية، وتصنيف الخطابات والاجناس الأدبية وفق مقولات بنوية ولسانية، بلاغه اسلوبية كان مركزها هو دراسة الاسلوب ووصفه من مختلف تجلياته الفنية والجمالية، وبلاغة حجاجية استهدفت دراسة الخطابات السياسية والقضائية والاجتماعية والفلسفية والأخلاقية وفق رؤيه حجاجية أرسطية جديدة، وبلاغة سيميائية، استخدمت اليات البلاغة في التعامل مع مجموعه من الأنساق السيميائية البصرية والاجتماعية كالموضة والصورة والطبخ والازدياد والاشهار...، وبلاغة تداولية كان هدفها دراسة مبحث الانشاء والخبر، وفق رؤية لغوية تداولية وظيفية، قائمة على نظرية افعال الكلام والاستلزام الحوارية.

- فما هي أصول البلاغة؟
- وكيف تعاملت الثقافة اليونانية معها وعلى ما ارتكزت البلاغة الجديدة في نشأتها؟
- وما هي تياراتها؟
- وهل يمكن الجمع بين معطيات البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة لبناء بلاغه عامه؟- وهل يمكن الجمع بين معطيات البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة لبناء بلاغه عامه؟

5. البلاغة عند أرسطو:

إذا عدنا إلى جذور البلاغة عند أرسطو نجدها تتأرجح بين معنيين مختلفين هما "بلاغة الحجاج وبلاغة الشعر، يدل الأول على الخطاب الذي يستهدف اقناع السامعين، أو تغيير الأحوال والمقامات، ويدل الثاني على الخطاب الذي يتنصل من مهمة الاقناع لكي يصبح هو في حد ذاته هدفا وغاية، أي يصبح هدفا جمالياً. فقد التبست الخطابة في الثقافة اليونانية "بالشعر كما التبست بالفلسفة فعمل أرسطو على التمييز بينها بأن وضع كتابا في الخطابة وآخر في الشعر"⁴.

فجعل من الخطابة ثلاثة أجزاء "وسائل الاقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي وترتيب أجزاء القول، ويتضمن الحركة والصوت فهذا الترتيب في رأيه ليس بثبات، فقد تقدم وسيلة وتؤخر الأخرى حسب المقام" فما يقدم بين أيدي القضاة في الخطابة القضائية ليس هو ما يستعمل للتأثير على جمهور الناس في الخطابة الاحتفالية"⁵.

استنادا إلى ما سبق، تعامل أرسطو مع أنواع الخطابة مركزا حديثه على عناصر بناءها والمساهمة في فاعليتها وهي: المرسل (الخطيب)، عالج فيه مفهوم البراهين بحسب تعلقها بالخطيب ومدى انسجامه بالجمهور وتأثير فيه، المتلقي (المستمع) عالج فيه عددا من الأهواء والانفعالات التي أثرت فيه من خلال خطاب المرسل ثم الرسالة (النص) الذي ركز فيها على الأسلوب، (dexis) أو البيان (elocution)، أي الصور البلاغية وترتيب الأجزاء القول (taxis).

وهكذا فإن الحجاج الجيد يقتضي معرفه كيفية التأثير المخاطب، والخطيب الناجح عنده هو، كما يوضح أرسطو أن الخطاب الناجح يعتمد على ثلاثة أنواع من الحجج تميزه وتمنحه قوته الإقناعية؛ أولها ما يرتكز على الصفات الأخلاقية للخطيب كفضيلته وفطنته وحسن تعامله مع الجمهور، وثانيها ما يخاطب المشاعر والانفعالات النفسية لدى السامعين، وثالثها ما يعتمد على طبيعة الخطاب نفسه حين يقدم برهانا عقليا واضحا أو يبدو كذلك في ظاهره.

والملاحظ أن أرسطو يركز على المتلقي باعتباره حكما أولا لأن هذا الأخير له تأثيرا كبيرا في تغيير مسار الخطاب "فكم من خطاب يوجه لأجل الامتناع فيتلقاه المخاطب باعتبار خطاب مقنعا وعلى العكس من ذلك كم من خطاب يوجه من أجل الإقناع فلا يلقى الأثر الذي ينشده الباتة الباث، ولا يحقق الغرض المقصود، وإنما يتلقاه المخاطب بوصفه خطابا ممتعا، ومن ثم فقد حصر أرسطو اهتمامه على أجناس خطابية ثلاثة قضائية واستشارية واحتفالية لارتباطها بالسياسة اليونانية والنظام الديمقراطي الاثيني في الخطابة القضائية المهمة بثنائية العدل والظلم، تعيش في كنف المحاكم حيث يتبادل المحامون والقضاة المرافقة والخطابة الاستشارية والاحتفالية المهمتان بما هو خير وما هو شر، تعيش في كنف التجمع الشعبي وفي كنف مجلس الممثلين .

أما المفهوم الآخر للبلاغة فهي البيوتিকা أو الشعرية والتي تنبثق من المتن الحكائي أي من حبكة التي يبتكرها الشاعر فالشعر عن أرسطو هو محاكاة الأشياء والأفعال الإنسانية والوقائع نوعان: محاكاة الأشياء والأعمال الإنسانية ومحاكاة الأشياء خارج الطبيعة أي محاكاة للخيال، والتي هي إعادة بناء للخطاب هذه هي مهمة الشاعر الحق، الذي يجعل من الشعرية بناء تخيليا جديدا لحقل الفعل الإنساني، وهذا ممكن التقاطع بين المفهوم الخطابي والمفهوم الشعري حيث كلاهما آليات للابتكار ، فإذا كانت الريتورिका هي بناء للحجج فالفعل الشعري ابتكار للحكاية. فإيجاد الحجة يعادل الإبتكار، "فقد كتب مصنفين يتعلقان بوقائع الخطاب، لكن هذين المصنفين متمايزان: فالتقنية الشعرية تتناول فنا للاستحضار التخيلي، في الحالة الأولى يتعلق الأمر بتقعيد تطور الخطاب من فكرة إلى فكرة (...). بتقعيد تطور الأثر من صورة إلى صورة"⁶. ما يحدد جوهر البلاغة الأرسطية هو هذا التقابل بين هذين النسقين البلاغي والشعري.

6. البلاغة الجديدة من منظور الثقافة العربية:

شغلت البلاغة حيزا كبيرا في حقول المعرفة الفلسفية والنقدية والأدبية منذ أرسطو إلى التيارات الأدبية الحديثة . ونظرا لتلك العلاقة الوطيدة التي تربط البلاغة بالنص من حيث تشكيلاته الفنية والأدبية والتحليلية،

جعلت لنفسها مقاما في مختلف الحقول المعرفية، ومن السذاجة أن يظن أحد أن اكتساب صناعة البلاغة أمر يمكن بلوغه في وقت وجيز، فهي علم واسع الأفق، عميق الأغوار، لا يحيط به طالب العلم في عجالة، ولا يكشف عن مكنوناته لمن لم يطلّ المقام في رحابه. إنها بحر زاخر لا تُدرك نهاياته، مهما امتد العمر وكثر الاجتهاد، فقد تناوب عليه العلماء والبلاغيون قروناً طويلة، يتأملون مسائله، ويستخرجون كنوزه، دون أن يحيطوا به إحاطة كاملة. فكيف لمن يسير على عجل أن يبلغ الغاية في علمٍ تميّز بالتراكم والتعمق عبر العصور؟

فما دامت الخطابات تقال والنصوص تكتب، ستظل عملية التنقيب في بنايات النص الأدبي قائمة للوقوف على جمالياته وعمق معانيه وفق نظريات وآليات نقدية مختلفة.

7. اتجاهات البلاغة الجديدة وتياراتها:

خضع التصور العام للبلاغة إلى تحولات عديدة مستندا إلى صيغ محورته، ساهمت في تأسيس خطابا بلاغيا في تحديد مساره العام، فكان التجديد من حيث الرؤية والصياغة النظرية التي تستجيب لطبيعة العصر وتشكراته الفكرية والحضارية.

عرفت البلاغة تحولا كبيرا من حيث المنهج والإجراء، فمن بلاغة أرسطو القائمة على فكرة الإقناع والتأثير إلى ريتشارد وفكرة دراسة طرق الفهم والتوصيل اللغوي، حاولت أن تبحث عن بدائل ممكنة في ظل إفتراضات ومعطيات نظرية محددة بعد ما ارتبطت البلاغة العربية منذ نشأتها الأولى ارتباطاً وثيقاً بالنص القرآني وبالشعر الجاهلي، إذ شكّلا معاً المنبع الأساسي الذي استمدت منه البلاغة مفاهيمها ومقاييسها الفنية واللغوية. وما يعرف بالبلاغة الجديدة التي تتبنى النموذج اللساني في التحليل وجدت منذ نهاية الخمسينات وبداية الستينات، فقد شهدت البلاغة عبر تاريخها تقلصاً في بعدها الفلسفي والتداولي، في الوقت الذي اتسع فيه تركيزها على الجانب الأسلوبي، حتى غدا هذا البعد هو الموضوع الأوحده الذي تدور حوله الدراسات البلاغية.

كما تجلت بشكل واضح بعض الإنجازات التي حققتها الأسلوبية في حقل الدراسات اللسانية الأشكال الخطاب والتحول الذي شهدته البلاغة الحديثة، ويظهر كيف أن النهضة البلاغية لم تكتفِ باستعادة البلاغة الكلاسيكية كما هي، بل سعت إلى استرجاع بُعد مفقود، وهو البُعد الذي تاه أو انحسر بين مجالين متجاذبين:

- **المجال الأدبي التخيلي:** وهو المجال الذي تهيمن عليه الوظيفة الجمالية للغة، حيث يُركّز على الصور الفنية، والخيال، والانفعالات، كما هو الحال في الشعر والأدب عموماً.

- **المجال الفلسفي-المنطقي واللساني:** وهو المجال الذي تُهيمن عليه الوظيفة التداولية للغة، أي استخدام اللغة للتأثير والتواصل والإقناع بطريقة منطقية أو وظيفية، كما في الفلسفة والمنطق وتحليل الخطاب.

النهضة الحديثة في البلاغة، بحسب هذا الطرح، حاولت أن تُعيد التوازن بين هذين البُعدين: لا تكتفي بالخيال والتزيين (كما في البلاغة الأدبية القديمة)، ولا تُجرد اللغة من بعدها الجمالي أو العاطفي (كما قد تفعل بعض الاتجاهات المنطقية أو اللسانية)، بل تبحث عن مقارنة متكاملة ترى في البلاغة أداة تواصل وتأثير تجمع بين الجمال والمعنى، بين التخيل والتداول.

هذه النهضة جاءت بعد مرحلة من التحولات التي لامست المفهوم العام، ثم الأدوات، فلمنهج في التحليل مستندة إلى:

شهدت البلاغة في القرن العشرين نهضة نوعية تمثلت في انبعائها من جديد بروح مختلفة، إذ لم تعد تقتصر على تحليل وسائل الإقناع أو التركيز على الجوانب الجمالية للأسلوب كما كان الحال في الماضي، بل تجاوزت هذا الإطار الضيق لتتجه نحو الأفق العلمي، متخذة طابعاً منهجياً منظماً، وساعية إلى أن تُبنى على أسس نظرية متخصصة تُؤهلها لأن تكون علماً قائماً بذاته.

في العصر الحديث، اتجه الباحثون إلى إعادة النظر في المفهوم التقليدي للبلاغة، حيث لم يعودوا ينظرون إليها باعتبارها مجرد فن للتزيين اللفظي أو أداة لتحسين الأسلوب، بل سعوا إلى توسيع إطارها المفاهيمي لتغدو نظرية علمية ذات أبعاد فلسفية ومعرفية. وقد أصبحت البلاغة الحديثة مجالاً متعدد التخصصات، يتقاطع فيه عدد من الحقول المعرفية مثل علم الاجتماع، وعلم الاتصال، واللسانيات، وعلم اللغة الشعري، والأسلوبية، مما أتاح لها أن تتحول إلى منظومة تحليلية تتعامل مع الخطاب بوصفه ظاهرة اجتماعية وثقافية ومعرفية.

هذا التطور لم يكن قائماً على القطيعة مع البلاغة القديمة أو رفض منجزاتها، بل كان قائماً على وعي نقدي عميق بمكانتها التاريخية، وسعيًا للاستفادة من أسسها ومفاهيمها، ولكن ضمن أطر منهجية جديدة تتوافق مع طبيعة العلم الحديث. فقد عمل الباحثون على إعادة تنظيم ما توصلت إليه البلاغة الكلاسيكية من نتائج، ولكن من خلال أدوات تحليلية تراعي الشمول والموضوعية والتماسك، إضافة إلى الاقتصاد في الطرح، وهي سمات جوهرية في أي حقل علمي معاصر. وهكذا، أصبحت البلاغة في الفكر الحديث علماً قائماً بذاته، يجمع بين العمق النظري والانفتاح على المعارف الإنسانية المتعددة.

وإذا أخذنا كأمثلة للبلاغة الجديدة، الناقد المغربي محمد العمري باعتباره من النقاد الأكثر إهتماماً بالدرس البلاغي العربي فقد تبني هذا الأخير مشروعاً علمياً يهدف من خلاله إلى تحرير البلاغة العربية من سجن المعيارية الذي دام طويلاً من جهة، ومن جهة أخرى فهو يسعى إلى تعميق الإتصال بالبلاغة العربية والنحو والعروض فعالج عدة إشكاليات مثل: ماذا نعني بالبلاغة؟ وهل توجد بلاغة واحدة أم عدة بلاغات؟

فقد لجأ العمري إلى توضيح مصطلح البلاغة حيث قال أنها: "علم الخطاب الاجتماعي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا أو تصديقا"⁷.

وكان هذا نتيجة دمجها بالتخييل والتداول الذي انتهجه كل من عبد القاهر الجرجاني وعبد القادر الجرجاني وابن سنان الخفاجي ثم يأتي بعد ذلك السكاكي والقرطاجني.

أما في الثقافة الغربية فهي: Rhétorique

فيخلص بعد ذلك إلى مفاهيم ثلاثة تمثلت في:

أ- المفهوم الأدبي: ويعود ذلك إلى رولان بارت الذي كان له الفضل في رسم الخطوط العامة للبلاغة الجديدة مستنداً ذلك إلى تاريخ البلاغة القديمة.

ب- المفهوم الأرسطي: فحصها محال الإقناع وآلياته كون النص يرتبط بالمقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة، المشاجرة، المفاضلة) إلى جانب إعادة كل من بيرلمان وغيره صياغة الخطاب ضمن نموذج منطقي للإقناع.

ت- المفهوم النسقي: وهو ما جعل البلاغة علما يشمل التخيل والحجاج، إذ كان الحديث منصبا على استرجاع البعد المفقود بين المجال الأدبي والمجال الفلسفي المنطقي من جهة واللساني التداولي من جهة أخرى.

ونخلص إلى أن البلاغة الجديدة ما هي إلا بلاغة قديمة ذات جذور متأصلة تعود إلى اليونان، حيث سعى المتأخرون إلى ضبط بلاغة جديدة تعمل على تحليل الخطاب وفق آليات ومناهج مناسبة.

8. خاتمة:

لقد كان لبحوث البلاغة الجديدة صدى كبير في الأوساط اللغوية البلاغية والنقدية الغربية بصفة عامة، من حيث لفتت النظر إلى ما أصاب الدرس البلاغي القديم من عيوب.

يدخل الحجاج مع البلاغيين المعاصرين مرحلة جديدة حيث لم يعد مقتصرًا على المجالات الشفوية وهنا تولي البلاغة المعاصرة دورا أساسيا "المقام" بجميع مكوناته لماله من دور في تماسك الخطاب وتحقيقه ودفع التناقض عنه، وهناك أفكار ضيقوا الشقة بين الحجاج والبلاغة، وأعادوا الأول إلى طبيعته الفلسفية التساؤلية. وفي هذا التصور لا تكون الصورة البلاغية مقتصرة على الوظيفة التحسينية وإنما تكون عبارة عن بنى حجاجية جاذبة وموجهة، كما تم شفع هذا الملمح البنيوي بمحاولة جادة لإعادة قراءة البلاغة القديمة وبعثها في ثوب جديد نظرا إلى ما أضحى للبلاغة في العصر ال اهن.

في هذا العصر الذي أصبح يتميز بالسرعة والتداخل في كل شيء، وخاصة على المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية وهذا بفضل البلاغة وبفعلها، محورا أساسيا من محاور العلاقات الدولية، وقد عملت هذه الوظائف المنوطة بها البلاغة على عودة الخطابة بتقنياتها البصرية والحجاجية ليتم استخدامها برؤية منهجين جديدين.

9. الهوامش:

¹ - عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي: (مقاربة لآليات بلاغة والإقناع)، أطروحة مرقونة كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، 2004، ص5.

² - أبو هلال العسكري، الصنائع، ط 2، تح: علي محمد البحاري، دار الفكر العربي، ص 175.

³ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، إفريقيا الشرق، المغرب: 2002، ص 18.

⁴ - الوالي محمد، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، الرباط: 2005، ص 108.

⁵ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2، إفريقيا الشرق: 2002، ص17.

- ⁶ - رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ط1، تر: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2011، ص ص31-32.
- ⁷ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، إفريقيا الشرق، المغرب: 2012، ص6.

10. قائمة المراجع:

1. أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط 2، تح: علي محمد البحاري، (دار الفكر العربي).
2. رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ط1، تر: عمر أوكان، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2011).
3. عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث العربي الإسلامي: (مقاربة لآليات بلاغة والاقناع)، أطروحة مرقونة، (مراكش: كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2004).
4. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2012).
5. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2، (المغرب: إفريقيا الشرق، 2002).
6. الوالي محمد، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، (الرباط: دار الأمان، 2005).